

ترتيب الأفكار وحسن العرض في الحوار



▪ ترتيب الأفكار، وفصاحة اللسان، وقوة البيان، وحسن العرض من العوامل التي تؤدي إلى نجاح الحوار، من أجل ذلك ينبغي على كلّ محاور الاهتمام بترتيب الأفكار وحسن العرض، لأنّ تشكّل الأفكار وتدخلها يشوشان على السامع، بل يجعلانه في حيرة من أمره فلا يدرى بداية الفكرة من نهايتها، كما لا يستطيع التمييز والفصل بين الأفكار.

يضاف إلى ما سبق أنّ الفكرة مهما كانت صحيحة وقيمة إذا لم يحسن صاحبها حسن عرضها فإنّها ستفقد قيمتها، وبالمقابل فإنّ بعض الأفكار المنحرفة قد يكتب لها الظهور والنجاح بسبب قدرة صاحبها على حسن عرضها.

وكما جاء في صحيح البخاري عند عبد الله بن عمر أذنه قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس: لبيانهما، فقال رسول الله (ص): "إنّ من البيان لسحراً، أو إنّ بعض البيان سحر".

وفي سنن أبي داود، (قال معمصعة بن صوحان، صدق النبي ﷺ (ص): أما قوله "إنّ من البيان سحراً فالرجل يكون عليه الحقّ وهو الحن بالحج من صاحب الحق" فيسرّر القوم ببيانه فيذهب بالحقّ).

وإذا كان حسن العرض يرغّب الناس ويشوّقهم إلى الاستماع ويترك آثاراً طيبة في نفوسهم، فإنّ الخط بين الأفكار يسبب نفوراً في نفوس الناس كما يسبب الملل والساقة، لذلك نجد أنّ رسول الله (ص) أوقف خطيباً عن إتمام خطبته لأنّه لم يوفق في حسن عرضها وفق الضوابط الشرعية، فعن عدي بن حاتم، أنّ خطيباً خطب عند النبي ﷺ (ص) فقال: مَن يطع الله ورسوله فقد رَشدَ وَمَن يعصِّهما، فقال: قم أو قال "أذهب فيئس الخطيب أنت".

والمحاور الناجح هو الذي يتّأس بأسلوب القرآن الكريم في دقته المتناهية في ترتيب الأفكار الكريم في معرض رده على منكري البعث والنشر على منطقه بأدلة حسية تظهر قدرة الله سبحانه وتعالى على خلق الإنسان من ماء مهين ثم تحويله من علقة إلى مضغة... إلى أتم صورة وأحسن تقويم كما قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَزْمَانَ فِي أَحْسَنِ تَفْوِيمٍ) (الثين/4). كلّ ذلك من أجل أن يلزم الله سبحانه وتعالى منكري البعث والنشر على الإذعان والتسلّيم بقدرة الله على إحياء الموتى، إذ كيف يعجز

١٠ عن البعث والنشور وهو الذي خلقنا من ماء مهين، فدالة الخلق ونقل الإنسان من مرحلة إلى أخرى - وهو أمر محسوس لا ينكره إلا مكابر ومعاند - يدل على قدرة الله على البعث والنشور. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِذَا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرْابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةً وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لَنْ يَرَبِّنَ لَكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّ كُمْ وَمَنْ يُتَوَفَّ فَإِنَّهُ مَنْ يُرْدَدُ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عَلِمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَزْرَكَنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَزْبَاتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهْيَجَ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحِبُّ الْمُهَمَّةَ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * قَدْ يُبَرِّأَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (الحج/ 5-7).

وقال تعالى: (أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَنْ يُمْدِنَ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الرِّزْقَ وَجَاءَنَ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَمْ يَسْ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحِبِّي الْمَهْمَةَ) (القيامة/ 37-40).

قال ابن كثير (رحمه الله): "أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقدر على أن يعيده كما بدأه".

كذلك كان أسلوب رسول الله (ص) البليغ وحسن عرضه يتركان أثراً عظيماً في نفس المتلقي، من ذلك موقفه (ص) من الغلام الذي طلب من الرسول أن يأخذ له بالزينة، عندها قام القوم ليجرروه، فطلب منهم الرسول (ص) بالكف عن ذلك، وقرب الغلام منه، وأخذ (ص) بيده للغلام، الجانب السلي والبعد النفسي للزنى في نفوس المحارم وكيف أنهم يمقتونه، مما جعل الغلام ينفر من الزنى ولا يلتفت إليه، ولكي ينفير الغلام من هذه الفاحشة، بدأ عليه الصلاة والسلام بقوله: "أتحبه لأمك؟ قال: لا و الله جعلني أنا فداءك، قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال أفتحبه لابنتك، قال: لا والله يا رسول الله جعلني أنا فداءك قال ولا الناس يحبونه لبنيتهم، قال أفتحبه لأختك قال: لا والله جعلني فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال: أفتحبه لعمتك، قال: لا والله جعلني أنا فداءك قال: ولا الناس يحبونه لعما لهم، قال: أفتحبه لخالتك قال: لا والله جعلني أنا فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهّر قلبه وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء".

ومن نماذج تسلسل الأفكار وحسن عرضها ما حدث مع جعفر بن أبي طالب (رض) مع النجاشي ملك الحبشة، فعندما هاجر المسلمين إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينه، أرسلت قريش خلفهم رجلين جلدين منهم ليردوهم وهما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربعة، وحملما بهما الهدايا لتسهيل مهامهما، وعندما قابلوا النجاشي ذكرها المسلمين المهاجرين بسوء... وعندما طلب النجاشي مقابلة المهاجرين المسلمين للتعرف على دينهم، قال له جعفر (رض): "أيتها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأكل في المياثة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ونأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسيبه ومدنه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباءنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بمصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقدف الممحونة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلة والزكاة والمصايم... فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدنا علينا فعذبونا وفتونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهروا علينا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واختربنا على من سواك، ورغبتنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك... فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأ عليه علياً، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى النجاشي حتى أخذلت لحيته، وبكت أسايقه... ثم قال النجاشي: إن هذا الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله أسلمهم إليكما".

ومن النماذج التي تدل على حسن العرض شكوى خولة بنت ثعلبة زوجها (أوس بن الصامت) إلى رسول الله (ص) حيث قالت: "يا رسول الله أكل شبابي ونشرت له بطني حتى إذاكبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكوك إلىك"، فما برأه حتى نزل جبرايل بهؤلاء الآيات: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ اللَّهِ تُجَاهِدِ لَكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) (المجادلة/ 1).

ونخت هذه النماذج لفكـر اتسم بالسلامة وجودة العرض وحسن البيان، ذلك هو كلام وافية النساء أسماء الأنصارية ا فعندما أتت النبي (ص) وهو بين أصحابه قالت: "أبا يحيى أنت وأعمـي، إني وافية النساء إليك، واعلم نفسـي لك الفداء أنتـه ما من امرأة كانتـه في شرق ولا غرب سمعـت بمخرجـي هذا أولـ

تسمع إِلَّا و هي على مثل رأيي، إنَّ إِنْ بعثك بالحقَّ إِلى الرجال والنساء فـآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإننا عشر النساء محمورات مقصورات قواعد بيوتكم، ومفضى شهواتكم، وحملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فصلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإنَّ الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مراقباً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم فيما نشاركم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت النبي (ص) إلى أصحابه بوجهه كلامه وقال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسائلتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما طننا أنَّ امرأة تهتدى إلى مثل هذا، فالتفت النبي (ص) إليها وقال لها: انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبيها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كلامه، قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً.

هذه نماذج تظهر لنا بصورة جلية أثر ترتيب الأفكار وحسن عرضها على الآخرين وكم هناك أناس أقبلوا على خطيب جماعة من كل حدث وصوب لسلسة فكره وحسن عرضه، وبالمقابل كم هناك أناس انقضوا من حول واعطى لسوء عرضه واضطراب أفكاره.

فعلى كل محاور أن يرتب أفكاره وبحسن عرضها بما يناسب عقول الناس ومستواهم كي يحقق الهدف المنشود من حواره ▶

المصدر: كتاب الحوار وآدابه في الإسلام